Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (6), Issue (5) : 30 May 2022
P: 60 - 74
ISSN: 2522-3380
مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (6)، العدد (5) : 30 مايو 2022م
ص:60 - 74

The ego in Al-Mutanabbi's poetry

Shaimaa Salem Alyammahi
Higher Colleges of Technology || UAE

Abstract: The study focuses on the presence of the ego in Al-Mutanabbi's poems, through the psychological, social, and psychological dimensions that this term carries, and the reasons that made this term clear and recurrent in most of Al-Mutanabbi's poems and in the various purposes that he addressed. And through the descriptive-analytical method, it will try to explain the presence of this ego in a remarkable way that made critics and scholars flock to study his poems, the influences that affected his personality and were reflected in his poems, which became so popular that he cannot turn a blind eye to them. Clear, and explain the reasons for its presence psychologically, socially, and psychologically.

Keywords: poetry - Al-Mutanabbi's - Ego.

الأنا في شعر المتنبي - دراسة لنماذج مختارة -

شيماء سالم اليماحي
كليات التقنية العليا || الإمارات العربية المتحدة

المستخلص: تركز الدراسة على حضور الأنا في قصائد المتنبي، من خلال ما يحمله هذا المصطلح من أبعاد نفسية واجتماعية وسيكولوجية، والأسباب التي جعلت هذا المصطلح حاضرا جليا متكررا في أكثر قصائد المتنبي وفي مختلف الأغراض التي تناولها. وسنحاول من خلال المنهج التحليلي الوصفي تفسير حضور الأنا بالطريقة اللافتة التي جعلت من النقاد والدارسين يتهافتون على دراسة نتاجه الأدبي والمؤثرات التي أثرت في شخصيته وانعكست على قصائده التي أخذت شهرة واسعة لا نستطيع أن نغض الطرف عنها، وسنقوم بتحليل بعض أبياتا شعرية مختارة تجلى فيها حضور الأنا بشكل واضح، وتفسير أسباب حضورها نفسيا واجتماعيا وسيكولوجيا.

الكلمات المفتاحية: قصائد-المتنبي- الأنا.

المقدمة.

ملأ الدنيا وشغل الناس عبارة وصف بها ابن رشيق المتنبي ت 354هـ، وكشفت لنا في طياتها الكثير، منه ما قيل ومنه ما لم يقال بعد عن هذه الشخصية الفذة التي احتلت مكانة كبيرة في الأوساط الأدبية، ليس في شخصيته فحسب وإنما في إنتاجه الشعري الغزير الذي انشغل به بنو عصره ولا يزال يشغل الدارسين والنقاد حتى الآن. ولم يحظ نتاج شعري كالذي حظي به شعر المتنبي، وإن دل ذلك فإنما يدل على عظم شأنه وشعره والموضوعات التي طرحها في أدبه بالإضافة إلى الأساليب التي تفنن في استخدامها في قول الشعر حتى أنهم وصفوا المتنبي بالعبقرية

أثارت شخصية المتنبي اهتمام الذائقة العامة والخاصة من الناس قديما وحديثاً، حتى أن نقاد العصر الحديث لا يزالون يتناولون شعره بالتتبع والدراسة ويحتفون بعبقريته أيما احتفاء، فحظي هذا الشاعر بدراسات عن حياته وشعره بأدق تفاصيلها حتى أصبح المتنبي أحد أهم الشعراء العرب الذين أجادوا كتابة الشعر وأبدعوا فيه.

ومن الطبيعي أن تمر هذه الشخصية الكبيرة بالعديد من المؤثرات التي شكلتها وصنعت لها هذه المكانة التي تبوأها المتنبي في عصره وذاع صيتها إلى يومنا هذا. إن التكوين النفسي والاجتماعي من المؤثرات المهمة في تكوين شخصية الفرد، فما يمر به الإنسان منذ ولادته حتى يبلغ رشده تشكل اللبنات الأساسية التي توجه الفرد في حياته. وقد تضاربت الآراء والأبحاث في تأثر الأنا بالمحيط والمجتمع، فهناك من فصل كينونة الأنا عما يحيط بها من مؤثرات، وهناك قسم ذهب إلى تأكيد تشرّب الأنا من الصور اليومية التي تنتجها الحياة ويواجهها الإنسان، وفي هذا البحث سنحاول تسليط الضوء على تأثير الحياة الاجتماعية التي عاشها المتنبي وأثرت وشكلت الأنا التي تجلت بوضوح في شعره.

مشكلة الدراسة:

إن المتتبع للإرث الذي خلفه المتنبي يلحظ تكرار الأنا في شعره وإن كانت غير ظاهرة بلفظها، لكنها واضحة جدا من خلال المعاني التي يطرحها شعره في مختلف الأغراض التي تناولها من مديح ورثاء وفخر وهجاء، فاعتزاز الشاعر بنفسه جعل من شعره مرآة تعكس شخصيته وعوالمه النفسية التي سعى وراءها الباحثون والنقاد، وفي هذه الدراسة أسعى أيضا كغيري من الباحثين لتتبع الأنا في شعره وسبب حضورها بكثرة في أشعاره.

فرضيات الدراسة:

تفترض الدراسة الآتي:

1. هناك محركات نفسية كانت وراء ظهور الأنا بتلك الطريقة في شعر المتنبي.
2. علاقة المجتمع وطفولة الشاعر وانعكاسها على إنتاجاته الشعرية.
3. قدرته الأدبية في قول الشعر كانت وراء بروز الأنا.

أهمية الدراسة:

تناولت دراسات عدة الأنا في شعر المتنبي، ولم تكن هذه الدراسة هي الأولى في تناول الأنا من الناحية النفسية، واستعنت بها حقيقة في الاطلاع على النتائج التي توصلت إليها هذه الأبحاث فيما إذا تشابهت في تأويلها لظاهرة الأنا، وتوصلت إلى أن الأنا في شعر المتنبي كانت متصلة اتصالاً وثيقا بحياته التي عاشها فقيراً، كما كان لطفولته الأثر البالغ في رسم معالم شخصيته المتعالية التي ساعدها الإبداع الشعري في الوصول إلى جنون العظمة.

منهجية الدراسة:

أما منهجية البحث فتعتمد على المنهج الوصفي التحليلي بالإضافة إلى المنهج النفسي والاجتماعي اللذين سيوضحان المؤثرات النفسية التي أثرت في حياة الشاعر وانعكست على نتاجه الشعري. ونحن لا نجزم كلياً بأن تلك المؤثرات النفسية هي من ساعدت في إنتاج هذا الكم العظيم من الشعر؛ ولكنها تعد من المؤثرات التي لا نستطيع إغفالها وأسهمت بشكل لافت في شعره.

هيكلة الدراسة:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة، ثم تناولت شخصية المتنبي وصفاته وشعره بشكل مختصر، ثم انتقلت إلى الجانب النظري لمصطلح الأنا وحضوره عند المتنبي، أخيرا تحليل أبيات المتنبي التي سنرصد من خلالها حضور الأنا لنفي أو إثبات فرضيات الدراسة.

المبحث الأول- عن المتنبي شخصيته وصفاته وشعره.

أولاً- الإطار النظري:

أبو الطيب المتنبي هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الكندي الكوفي، ولد في الكوفة سنة 303هـ في محلة تسمى كندة، فنسب إليها، غير أنه ليس من قبيلة هذه المحلة، ولكنه جعفي القبيلة نشأ في الكوفة، وقيل أن أباه كان سقاءً بالكوفة، ثم انتقل إلى الشام بولده ونشأ ولده بالشام[1].

وذكرت المصادر بأن نسب أبيه وجده وأمه وقبيلته مجهول، وكل الأسرة التي ينتمي إليها، ولم يستطع المؤرخون معرفة إلى من ينتسب، ويذكر بأن القبيلة التي نسب إليها المتنبي تتصل بأصل يماني، وذهب مؤرخو الأدب العربي إلى أن في بعض شعر المتنبي ما يدل على عصبية يمانية، فأكثر ممدوحيه في أيامه الأولى من قبائل يمانية[2]. ولقب الحسين (بعِبدان السقاء)، وذهب البعض الآخر بأنه يلقب (بعَبدان السقاء) بفتح العين، ولم يذكر أو يرجح الباحثون أي اللقبين أصح، وهناك من ذكر بأن والد المتنبي يعود إلى رجل علوي خطير، يفوق الشيعة في عقيدته مغالياً فيها، لذا كان المتنبي يتكتم على هذا النسب خشية من بني العباس وبطشهم.

وذكر دارسون آخرون إلى أن أباه قرمطي الأصل، حمل السلاح مع القرامطة وعاث فساداً في العراقَيْن، واشترك مع الذين اقتلعوا الحجر الأسود من زاوية الكعبة[3]؛ لكن أحدا لم يرجح النسب الحقيقي لهذا الشاعر العظيم، فجميع المراجع التي تناولته لم تجزم به، والحقيقة أن أغلب الدراسات ذكرت بأن أباه كان سقاءً للماء في الكوفة، ولم يكن لوالده تلك الحوافز العليا التي وجدت عند المتنبي، والمهنة التي ارتزق منها كانت أدنى من مهنة المتنبي، ولم يعتبرها مؤقته ورضي بقدره كونه سقّاء للماء[4].

أما والدته فلم تذكر المراجع عنها سوى أنها ماتت وهو طفل صغير فكفلته جدته لأمه، ولم يذكرها المتنبي سوى مرتين عرضا وليس قصداً، كذلك جدته التي كفلته بعد ممات أمه لم يأتِ ذكرها إلا مرة واحدة[5]، ويقول في جدته:

بيدي أيها الأمير الأريب *** لا لشيء إلا لأني غريبٌ
ولأمٍّ لهـا إذا ذكـــرتني *** دمُ قلبٍ في دمع عينٍ يذوب[6]

وهذا يدعونا إلى التفكر في اختلاف المصادر التي روت أصل المتنبي، فيما إذا كان هذا الاختلاف دليلاً على أن نسب المتنبي مجهول فعلاً أم أن هناك أمر آخر وراء هذه الروايات المتعددة. وقد روي الخطيب عن علي بن المحسن عن أبيه قال:" وسألت المتنبي عن نسبه فما اعترف لي به، وقال أنا رجل أخبط القبائل وأطوي البوادي وحدي، ومتى انتسب لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينه وبين القبيلة التي أنسب إليها. وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني"[7]، ولم يكن المتنبي يُعنى بأن يعرف عنه إلا أنه المتبني، لا يفخر بقبيلته، وإنما تفخر به القبيلة التي ينتمي إليها، ويقول في إحدى قصائده:

---

(1) البرقوقي: عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الجزء الأول، الطبعة الأولى2004 ص 5
(2) البرقوقي: شرح ديوان المتبني، ص 18
(3) المرجع السابق: ص 23- 24
(4) حاوي: إيليا، المتنبي سيرته ونفسيته وفنه، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى 1990، ص 17
(5) المتنبي دراس نفسية وأسلوبية، مرجع سابق: ص 24- 25
(6) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص18
(7) (المرجع نفسه ص17)

لا بقومي شرفتُ بل شرفوا بي *** وبنفسي فخرت لا بجدودي [8]

إن قلة حديث المتنبي عن أهله وقومه بها حالة من اللبس، حيث لم يفصل ولم ينقب، وكان مقل الكلام عن أصله ونشأته، على عكس ما يذهب إليه الشعراء الذين انحدروا من أصولٍ عالية كما كانت تقتضيه سنة الفخر وتقاليده آنذلك، وهو في ذلك يختلف عنهم حين كانوا يفاخرون بأصولهم وبأمجاد قبائلهم، ليتفرد بذكر نفسه والافتخار بها في المناسبات التي ينشد فيها شعره.

عرف المتنبي حياة الصحراء وأخلاق الأعراب في طليعة صباه وكان حينها يتنقل بين القبائل في بادية الكوفة ليتلقى اللغة من أفواه رجالها، ثم عرف الصحراء حينما أقام طويلا في بادية السماوة بالشام بين بني كلاب، لذا لم يكن على الصحراء دخيلا، ولم تكن عادات العرب وتقاليده بغريبة عنه[9].

وعلى الرغم من أن فترة الصبا الخشنة التي عاشها المتبني من حرمان حنان الأم وشظف العيش، إلا أنه كان طفلا مرحا وثَّابا يسره كل شيء، وقد بدأت عنده أزهار المعرفة تتفتح عندما بدأ يختلف على دكاكين الورَّاقين ودكاكين الكتب، وكانت الكوفة في ذلك الوقت تشع حيوية وثقافة، ما جعل المتنبي ينشأ في جوٍ علمي وفكري مميز، متردداً على العلماء ودكاكين الوراقين والكتب وغيرهم، يقرأ الكتب ويتصفحها على اختلاف مواضيعها، ليخرج لنا ذلك الشاعر الذي امتلك موهبة شعرية فريدة وهو لا يزال في مرحلة الصبا[10].

إن بوادر طلب المجد عند المتنبي ظهرت لديه مذ كان طفلاً يعاني الفقر والحرمان، فتطلع إليه فتىً خفاق الجناحين، والحقيقة أن نضوجه الفكري وثقافته الواسعة واطلاعه على مختلف العلوم واتقانه للشعر ساعدته على ذلك، فسلك عدة مسالك لينال مراده أولها: استخدم موهبته الشعرية في مدح الملوك والوزراء والقضاة، ودانت له روائع القوافي والغوالي من الأوزان، ثانيا: حاول بلوغ المجد بقوة، فادعى النبوة في بادية السماوة، وأعلن الثورة وتبعه خلق كثير من بني كليب، لكن نائب الإخشيدين أسره وتفرق بعد ذلك من تبعه، وأخيرا حاول إدراك المجد بالمال فطاف بلدان كثيرة وذاع صيته وطبقت شهرته الآفاق، وكان كلما كسب دينارا سعى إلى كسب جديد[11]، ويقول في ذلك:

فلا مجدَ في الدنيا لمنْ قلَّ ماله *** ولا مالَ في الدنيا لمنْ قلَّ مجدهُ

وما رغبتي في مغـــنمٍ أستفيده *** ولكنـــــها في مفـخرٍ أستجدُّهُ[12]

وهو هنا يؤكد على أهمية المادة بالنسبة إليه، ويعترف في طيات هذه السطور على أن المال أحد عناصر المجد التي طالما كان يرتجيها ويسعى إليها، كذلك نستطيع أن نستدل من خلال هذه الأبيات على أحد العوامل التي ساعدت في بروز الأنا والنرجسية إن صح التعبير عند المتنبي سواء في شعره أو شخصيته، وهي طلب المجد والفخر، فالأنا عندما ظهرت في شعره إنما ظهرت في هذه الأغراض، فكان كلما مدح ملكاً أو أميراً رجع في القصيدة ذاتها إلى مدح نفسه والاعتزاز بها، وسارت له قصائد كثيرة على هذا المنوال، وكأنه أراد بذلك تأكيد وجوده في كل آثاره الأدبية، وربما أراد كذلك أن يبين مكانته مقابل الأمراء الذين امتحدهم، فهو ليس بأقل منهم مكانة، وجاهاً إن صح القول.

---

(8) المرجع نفسه، ص 17

(9): أحمد فضل شبلول، شخصية المتبني في آثار علي الجارم النثرية، تاريخ النشر- 2019- https: //middle- east- online.com

(10) بلاشير: ريجس، أبو الطيب المتنبي- دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 43، 44

(11) عطوي: فوزي: المتنبي شاعر السيف والقلم، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1998ص14، 15، 16

(12) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص324- 328 قافية الدال

وتجدر الإشارة هنا إلى الجانب العميق في شخصية المتنبي وهي التكبر (النرجسية) وهي إحدى جوانب الأنا التي سنتناولها في هذا البحث، وشخصية المتنبي كما عرفتها الأوساط الأدبية كانت شخصية متعالية على الناس، متكبر شديد الاعتداد بنفسه، مؤمن بحقه على أهل زمانه[13]، وقد قدم لنا شعر المتنبي صورة واضحة عن ذاته وشخصه، ومن خلالها استطاع المتلقي أن يرصد تحولات هذه الذات مع محيطها (الآخر)؛ ليكشف لنا وبوضوح نزوع الأنا إلى التعالي والتسامي، من خلال تضخيمها والإعلاء من شأنها في جميع المحافل والمناسبات، حتى وصل به الأمر إلى تعظيم هذه الأنا التي طغت على شخصيته وشعره.

وتنوعت الأغراض التي أحاط بها المتنبي، فقد كانت العبر التي لقيها في حياته المفعمة بالأحداث أكثر من أن تحصى، فكانت الدروس التي ألقاها على الناس أكثرها شعراً. وقد تفوق المتنبي في أغراض معينة مثل: المدح والهجاء والحكمة والرثاء والوصف. وأما **الغزل** فقد كان مقلاً فيه، ولكنه واردٌ في شعره، غير أنه يتميز ببرود العاطفة وتكلفها، وغالبا ما كان يعتمد الغزل في مطالع القصائد، ولكنه لا يحرك عواطف الهوى، ولا يثير في النفس أية مشاعر أو يحي أي ذكريات[14]، ومن هذه النماذج:

جهدُ الصَّبابةِ أن تكونَ كما أرَى *** عينٌ مُسَّهَدةٌ، وقلبٌ يخْفِقُ
ما لاحَ برقٌ، أو تَرَنمَ طائرٌ *** إلا انْثَنَيْتُ، ولي فؤادٌ شَيّقُ
وعَذَلتُ أَهلَ العِشْقِ حتى ذُقْتُهُ *** فعِجبتُ كيف يموتُ من لا يعْشقُ[15]

أما في **الرثاء** فكانت لديه نظرة سوداوية للحياة، واتسم شعره في هذا الغرض بالحزن العميق الذي يهيج المشاعر، ويزعزع الكيان. وقد رثى أم سيف الدولة، وأخته فأجاد، ثم رثى جدته، فجعلها جدة مثالية، وقد كان رثاؤه لجدته محط التساؤلات، فكيف يرثيها ولا يتلفت إلى ذكر أبيه وأمه أو أحد من أقربائه الآخرين، وفي رثاء جدته يقول:

لكِ اللهُ من مفجوعةٍ بحبيبها *** قتيلةِ شوقٍ غير مُلحقها وصما
أَحِنُّ إلى الكأسِ التي شربتْ لها *** وأهوى لِمثواها التُرابَ وما ضمّا
بكيتُ عليها خيفةً في حياتها *** وذاق كلانا ثكل صاحبه قدما
أتاها كِتابي بعد يأسٍ وترحةٍ *** فماتت سروراً بي، فمتُّ بها غمّا
حرامٌ على قلبي السرور، فإنني *** أعدُّ الذي ماتت بهِ، بعدها، سُمّا[16]

وبرع المتنبي في الوصف، سواء كان في وصف الطبيعة أو الحيوان، أو الإنسان وأخلاقه، فالمتتبع لأبياته يجد نفسه أمام المنظر الموصوف ذاته، وهذا يدل على براعة واكتمال التجربة الفنية لدى الشاعر. وأروع قصائد المتنبي الوصفية، هي القصيدة التي مدح فيها بدر ابن عمار، بعدما انتصر في معركة اشتبك فيها مع أسد هاجمه وهو على فرسه[17]، حيث يقول:

وردٌ إذا وَرَدَ البُحيرة شارباً *** وردَ الفُراتَ زئيرهُ والنّيلا
يطأ الثرى، مترفّقاً منْ تهيبِهِ *** فكَأنه آسٍ يجسُّ عليلا[18]

وفي المديح قوله:

(13) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص25
(14) عطوي: المتنبي شاعر السيف والقلم، مرجع سابق، ص 26
(15) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص26- 27
(16)البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 380، 381
(17) عطوي: المتنبي شاعر السيف والقلم، مرجع سابق، ص28
(18) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 204

على قدر أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ *** وتأتي على قدر الكرامِ المكارمُ
وتَعْظُمُ في عين الصغيرِ صغارُها *** وتصغر في عين العظيمُ العظائِمُ[19]

والفخر كقوله:

واحرَّ قلباهُ ممن قلبهُ شَبِمُ *** ومن بجسمي وحالي عندهُ سقمُ
مالي أكتمُ حبّاَ قدْ بَرَى جسدي *** وتدّعي حبَّ سيفِ الدولةُ الأُمَمُ[20]

وفي الهجاء قوله:

عيدٌ بِأَيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ *** بِما مَضى أَم بِأَمرٍ فيكَ تَجديدُ
أَمّا الأَحِبَّةُ فَالبَيداءُ دونَهُمُ *** فَلَيتَ دونَكَ بيداً دونَها بيدُ[21]

أما في الحكمة قوله:

كفى بكَ داءٌ أن ترى المَوتَ شافياً *** وحسبُ المنايا أنْ يَكُنَّ أمانِيا[22]

ولوحظ في شعره إنه كان مقلا في بعض الأغراض ومكثرا في البعض الآخر بمعنى أنه تميز في أغراض معينة كالفخر، والحكمة والمدح والهجاء أكثر من غيرها، وقد برزت الأنا عند المتنبي في غرض المديح والفخر، حيث أنه كان يتناول ممدوحيه في قصائده ثم ما يلبث ويستخدم الأنا مادحاً نفسه ومفتخرا بها، وكان غرض المتنبي واضحاً في ذلك، فكان الهم الذي يشغله ويشغل جل تفكيره هو طموحه إلى الملك والسلطان ولن يصل إليه إلا بالإكثار وإجادة هذه الأغراض الأخيرة، ونحن لا ننكر براعة المتنبي في قول الشعر، لكنه استغل موهبته للوصول إلى الأهداف التي كان يسمو إليها.

ولا عجب في ذلك، فقد عاش المتنبي فقيرا معسراً لم ينل في حياته عيشاً رغداً ولا ندري ما قد واجه جراء الفقر الذي أحاط طفولته؛ لتخرج لنا شخصية بهذا التعالي طالبةً المجد والوصول للقمة، يقول في أحد قصائده في صباه:

أين فضلي إذا قنعت من الدهـ *** ـر بعيشٍ معجلِ التنكيد
ضاق صدري وطال في طلب الرز *** ق قيامي وقل عنه قعودي

إن النزوع إلى التعالي والتسامي لدى المتنبي متجذر في ذاته، وهو مقوم من مقومات شخصيته، لما استشعره في طفولته وأثرت في تكوينه وطبيعته من إمكانات أكسبته اعتدادا بالنفس، وتعاليا على الآخرين، حتى بات مقتنعاً أن لا أحدا مثله ولن يكرر الزمان شخصية كشخصيته[23].

فلم يترك شيئا إلا وافتخر به، فمدح الصفات الخلقية التي يتمتع بها، من شجاعة وكرم وجود، فتجد فيه الفارس المحارب، والشاعر الذي يتميز بمقدرة شعرية عالية لا يضاهيها عليه أحد، بالإضافة إلى فخره بنسبه إلى نفسه، وهي نقطة التي تستحق التأمل والوقوف على أسبابها، هذا وكما افتخر بثقافته.

الدراسات السابقة:

1. المتوقع واللامتوقع في شعر المتنبي لنوال مصطفى إبراهيم.

(19) المرجع السابق، ص297
(20) المرجع السابق، ص 288
(21) المرجع السابق، ص334
(22) البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، 501
(23) إبراهيم: نوال مصطفى، المتوقع واللامتوقع في شعر المتنبي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، 2008، ص53

2. توهج الأنا وانكسارها في شعر المتنبي لرمضان أحمد عامر.
3. الأنا والآخر في شعر المتنبي لمفلح الحويطات.

المبحث الثاني- الأنا في شعر المتنبي.

شكّل حضور الأنا في الأوساط الأدبية محوراً لا يقل أهمية عن المواضيع التي تطرقت إليها الدراسات الاجتماعية والفلسفية، وأصبحت تعنى بدراستها من خلال رصد العلاقة القائمة بين الفرد والجماعة؛ فالفرد لا ينشأ بمعزلٍ عن الجماعة، وبالتالي ليس للفرد وجود خارج إطار هذه الجماعة[24]. إن الفرد يكتسب من المجتمع الذي يعيش فيه لغته التي يتحدث بها، ومعاييره التي يدافع عنها، وأهدافه التي يعمل من أجلها، وعواطفه التي يجيش بها صدره[25]؛ إذن فالإنسان نتاج بيئته التي عاش وترعرع وتشرّب عاداتها وتقاليدها، ولا نستطيع أن نفصله عن التجارب والمواقف التي مرت به في حياته عند تناول الجوانب النفسية والاجتماعية في شخصيته.

ويرى فرويد أن الجهاز النفسي يتكون من الأنا EGO النفس الذاتية، الهو أو الهي ID النفس البدائية والذات العليا Super Ego النفس اللوامة[26]. فالأنا هي الإنسان العادي الموجود، والذي يعاني من النقص والفقد والغياب، أما الذات فهي ما يطمح إليه الفرد، وهو بالتالي يصل إلى مرحلة الاكتمال والتحقق والوجود الأمر الذي يقود الفرد إلى اكتشاف نفسه فتتحول الأنا عنده إلى أنا ناقصة نسبياً، ثم تعاود الصعود مرة أخرى على مدارج الكمال[27]، وتجدر الإشارة إلى أن الأنا أو الذات لا يمكن الوصول إليها ما لم يتم يتصل معها في الوقت نفسه إلى حدود الآخر، فالذات تتحدد معالمها من خلال احتكاكها بالآخر والتعامل معه.

إن الأنا مصطلح ذو دلالات يتحدد معناها وفق السياق الذي يرد فيه، فهو يحيل عند الفلاسفة العرب إلى النفس المدركة[28]، وأنا الإنسان:" هو الذي يواجه الناس والمجتمع، ويتدبر الأمور، وتحقق به الصور الذهنية والأحلام"[29]، وترى مدرسة التحليل الشخصي أن الشخصية تتضمن ثلاث منظمات رئيسة، ولكل منها وظيفتها الخاصة بطبيعتها، والمبدأ الخاص الذي تعمل وفقاً له هو: " الهو، الأنا، والأنا الأعلى"[30]:

1. **الهو:** وتمثل منبع الطاقة البيولوجية التي يولد الإنسان معها، فتضم الدوافع الفطرية والجنسية والعدوانية والتي ترجع إلى الميراث الإنساني كله، وفيها الفرد لا يعرف شيئا عن العالم الخارجي، من أخلاق وقيم أو التمييز بين ما هو صحيح وخاطئ؛ لأنه لا يعمل بالإدراك أو المعرفة[31].
2. **الأنا:** وهي التي بها يبدأ الإنسان منذ طفولته في الاحتكاك والارتباط بالعالم الخارجي، وتبدأ شخصية الإنسان بالتشكل فور اتصاله بهذا العالم الواقعي عن طريق حواسه[32]، وفي هذه المرحلة يستطيع الفرد التمييز بين ما هو جيد ورديء، ومعرفة ما هو جائز وغير جائز، فتتكون الأنا بفعل التجارب والخبرات التي يتعايشها الفرد.

---

(24) إبراهيم: زكريا، مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية ص 154

(25) إبراهيم زكريا: مشكلة الإنسان، المرجع السابق، ص154

(26) زيدان: محمد مصطفى، معجم المصطلحات النفسية والتربوية، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1984، الطبعة الثانية، ص343

(27) سعد: صالح، مقدمة الأنا- الآخر- عالم المعرفة274، مطابع السياسة، الكويت، 2001، ص11

(28) صليبا: جميل، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص139

(29) صليبا: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 140

(30) عزت: أحمد، أصول علم النفس، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، الطبعة السادسة، 1968 ص393

(31) عزت: أصول علم النفس، مرجع سابق، ص406

(32) المرجع السابق: ص407

3. **الأنا الأعلى:** الأنا الأعلى هي تلك القيم والسلوكيات التي يتلقاها الفرد من حوله، فهي القيم والتربية التي يتلقاها الطفل من أسرته والمجتمع[33]، فهذه التربية التي يأخذها الطفل من أسرته ويتغذى فيها السلوك الذي سينعكس على شخصيته في المستقبل، والتي لها أثر عميق، ولا نستطيع أن نرجع سلوك الطفل إلى أسرته فقط، فالمحيط الذي يعيش فيه والمجتمع والعلاقات التي يصادفها في حياته، لها تأثير آخر ولا نستطيع إغفاله على سلوك الفرد.

والأنا في هذه الدراسة هي الأنا الشاعرة التي تجسدت في الخطاب الشعري عند المتنبي، وأشار الحويطات في بحثه عن الأنا والآخر في شعر المتنبي إلى أن الأنا الشاعرة تختلف الأنا التاريخية عند المتنبي، معللاً ذلك بأن الخلق الفني غالباً يقدم لنا ذاتاً مختلفة عن الذات في موقف آخر، فهي تتوق إلى استحواذ صور الكمال والامتلاء، موظفة فكرة التعويض التي يمكن أن تتحقق في إبداع الفرد[34].

وأتفق مع ما جاء به الحويطات في بحثه، فكما سبقت الإشارة بأن الأنا تتشكل بالضرورة من خلال علاقتها بمن حولها ابتداءً من الأسرة ووصولاً بالمجتمع، وما يصادف الفرد من علاقات وتجارب، وهذه العلاقات والمواقف هي من تشكل شخصية الأنا عند الفرد، فتظهر من خلال ما يقدمه الفرد المبدع بين ثنايا إبداعاته، والفرد العادي من خلال شخصيته التي يتعامل بها مع محيطه، فنرى المبدع يعرض ما مر به من نقص في حياته من خلال إثبات ذاته في أعماله الإبداعية، وهذا ما ستركز عليه هذه الدراسة، أما الشخص العادي فتظهر عقد النقص والتعويض عنده من خلال الأفكار التي تختزل عقله، وطريقة تعامله مع من حوله، وهي تنطبق على ما جاء به عزت أيضا في كتابه أصول علم نفس في شرحه للأنا.

والشاعر دائما ما يحاول بصفته ذاتاً إلى تجاوز الأنا في الواقع إلى تحقيق الذات وتأكيدها من خلال الذات الشاعرة (المبدعة)، وذلك من خلال تعاليها وإبعادها عن التشيؤ[35]، ويرى سارتر أن تأكيد حرية الذات تكمن في التعالي ونفي العبودية التي يقلصها ينسبها إلينا غيرنا[36]، ونستطيع أن نلحظ تفسير سارتر لحرية الذات في شخصية المتنبي كما سنرى في قصائده، حيث نجد أن الخاصية المهيمنة في شعر المتنبي هي الحضور الصارخ والمكشوف للأنا، فبرزت الأنا في حضور مكثف وواضح في فضائه الشعري وتجلت في صور عديدة.

إن سمة افتخار المتنبي بنفسه واعتزازه بها أيما اعتزاز ميزت شخصيته الشعرية، وكانت ملازمة له، فأكثر من هذا الاعتزاز الذي نبع من إدراكه على تميزه وتفرده عن الآخرين مما دفعه إلى تعظيم هذه الأنا والتعالي على الآخرين، ويستطيع المتلقي أن يلحظ الأنا الجبارة العاتية، وظاهرة الفخر الذاتي عند المتنبي منذ نشأته، وقد عرف عن المتبني نزعته إلى الفخر والسعي للوصول إلى أعلى المراتب قبل أن يبلغ أشده ويصل إلى ما وصل إليه من مكانة وشهرة، يقول منشداً في صباه:

أمِطْ عَنكَ تشبيهي بمَا وكَأَنَّهُ *** فَمَا أحدٌ فَوقِي ولا أَحَدٌ مِثْلِي[37]

---

(33) عزت: أصول علم النفس، مرجع سابق، ص408

(34) الحويطات: مفلح، الأنا والآخر في شعر المتنبي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، مج33، ع131، 2015، ص146

(35) يعني مصطلح التشيؤ تَحوُّل العلاقات بين البشر إلى ما يشبه العلاقات بين الأشياء (علاقات آلية غير شخصية) ومعاملة الناس باعتبارها موضعاً للتبادل.

(36) حرب: سعاد، الأنا والآخر والجماعة (دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه)، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1994، الطبعة الأولى، ص 12

(37) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 159

وفي هذا البيت تتضح لنا العزة والكبرياء اللذين يتمتع بهما المتنبي مذ كان صبياً، فهو لا يسمح بأن يشبهه أحد، فلا تكاد تخلو قصيدة إلا وامتدح فيها نفسه مفتخراً ومعتزاً بكبريائه الرهيب، فأناه كانت حاضرة دائما في قصائده وإن لم يذكرها فهو لا شيء أو غير موجود، ويبدو أن الشاعر كان يشعر بشيء ما في أعماقه وذاته، ولا يعرف التعبير عنه بشكل صريح أو مباشر، وذهب الدراسون أن عقدة النقص التي كان يعانيها المتنبي هي السبب وراء تعاظم الأنا في شعره؛ فما مر بنا عند التعريف بالشاعر لاحظنا من خلال البحث أن نسب المتنبي لا يزال غير مؤكد، فهناك العديد من الروايات التي دارت حول نسبه، الأمر الذي يقودنا إلى أن هذا الشاعر مجهول النسب في الواقع لكثرة ما دار حول نسبه من افتراضات وحديث، ونستطيع ترجيح احتمالية تعويض النقص الذي يعانيه من نسبه بهذه العنجهية والتعالي في قصائده، وكأنه يبعد تركيز المتلقين ويشتتهم عن نسبه لشيئ آخر أكثر إثارة ولفتا للانتباه.

المبحث الثالث-تحليل (الأنا) في نماذج من قصائد المتنبي.

نلحظ في هذه القصيدة التي كتبها المتنبي في فترة صباه، تأجج حضور الأنا في مقابل تهميش بالغ تجاه الآخر، ونحن في هذا البحث لن نركز على الآخر بصفته المنافس أو المقابل لأناة الشاعر، وإنما أردنا خدمة عنوان البحث الذي يركز على حضور الأنا نفسياً، وربطها بعوالم الشاعر الداخلية؛ فتظهر الأنا في هذه القصيدة بشكل صادم غير متوقع من شاب في بداية عمره، يحاول فرض شخصيته بتمجيد أناه بالطريقة المستفزة التي حمّلها أبياته. واتسمت هذه الأنا أو حب الذات بوتيرة عالية ترددت في أبيات القصيدة، ونستطيع أن نصفها بأنها جاءت بصورة يذم عليها شاعر صغير في بدايته الأولى، يقول:

قضاعَةُ تَعْلَمُ أنّي الفَتى الـ *** ذي ادّخَرَتْ لصُروفِ الزّمَانِ
وَمَجْدي يَدُلّ بَني خِنْدِفٍ *** عَلى أنّ كُلّ كَريمٍ يَمَانِ
أنَا ابنُ اللّقاءِ أنَا ابنُ السَّخاءِ *** أنا ابنُ الضِّرابِ أنا ابنُ الطِّعانِ
أنَا ابنُ الفَيافي أنَا ابنُ القَوافي *** أنَا ابنُ السُّروجِ أنَا ابنُ الرِّعانِ
طَويلُ النِّجادِ طَويلُ العِمادِ *** طَويلُ القَناةِ طَويلُ السِّنانِ
حَديدُ اللّحاظِ حَديدُ الحِفاظِ *** حَديدُ الحُسامِ حَديدُ الجَنَانِ
يُسابِقُ سَيْفي مَنَايَا العِبادِ *** إلَيْهِمْ كأنّهُمَا في رِهَانِ
يَرَى حَدُّهُ غامِضاتِ القُلُوبِ *** إذا كنتُ في هَبْوَةٍ لا أرَاني
سَأجْعَلُهُ حَكَماً في النّفُوسِ *** وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِساني كَفاني[38]

إن القارئ لهذا الأبيات سيلاحظ من القراءة الأولى تكرار ضمير (الأنا) في الأبيات بشكل لافت ومثير للعجب؛ فالشاعر في هذه الأبيات يفخر بنفسه أيما افتخار، بل وكأنه يأخذ سامع أبياته إلى تصديق ما قاله عن نفسه، وذلك لذكره القبائل التي ستشهد معه على صحة قوله، والانبهار بشخصيته وشجاعتها.

إن عاطفة الإنسان العربي ابن الصحراء، والفيافي، هي عاطفة الانتماء إلى العروبة أو القومية العربية، التي اضمحلت في العصر العباسي وتداخل معها الأعاجم والفرس، فغابت واختلطت، وكأنه بذلك أراد إحياء صورة الإنسان العربي الفارس، ويعيد إحياءها من العدم إلى الحياة بشعره النابض وروحه التي تستطيع إعادة تاريخه ووجوده لكثافتها وقوتها؛ فتعزيز انتمائه وحبه لأصله هو تعزيز أيضا للشاعر العربي المعتز بعروبته ومكانته بين الأعراق، وهذا ما انعكس في شعره.

(38) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص440- 441- 442 قافية النون

إن القاموس الشعري الذي استخدمه في قصيدته ينم عن الاعتزاز بعروبته باستخدامه مفردات الشعر القديم، فهو بذلك يستحضر صورة الماضي وعاطفة السلف والأجداد التي امتزجت بعاطفة الأنا عنده، ونستطيع القول بأن لعامل الوراثة الأثر الكبير في توجيه حديثه وشعره، ويمكننا القول بأنها وراثة نفسية أو عاطفية مع البيئة التي نشأ فيها وتربى، فحبه لنفسه نابع من إرث البيئة[39]، فذاته هي القاعدة ونقطة الارتكاز التي لا يمكن إغفالها، وهي الروح التي تلازم شعره.

فهو يخبرنا بأن قبيلته تعلم بأنه فتاها الذي يحتاجون إليه؛ فيدخرونه لدفع ما ينزل بهم من الحوادث لشجاعته وسداد رأيه[40]، فهذه الصفات وغيرها من صفات وخصال الكرم لا تكون إلا عند كل كريم يمني، وكأنه ينسب الكرم لأهل اليمن أو القبائل اليمنية التي ينتمي إليها. وجرت العادة عند العرب أن يطلقوا على كل من لزم شيئاً أنه ابنه حتى قالوا لطير الماء: ابن الماء[41]، ويكمل المتنبي أبياته واصفا نفسه بأنه ابن اللقاء والسخاء والضُراب والطُعان والفيافي والقوافي والسروج والرِّعان. فهو يتغنى بنفسه مادحاً بأنه ابن اللقاء، صاحب الرمح والسباق في المعارك يطعن الخصوم بشجاعته وبسالته التي لا يقدر عليها أحد، ويتابع واصفا أنه ابن الجبال والقوافي، وأراد بذلك قول:" أنا صاحب الفلوات لكثرة جوبي إياها وصاحب القصائد أجيدها وأبدع فيها، وصاحب الجبال لكثرة سلوكي طرقها"[42]، وهو بذلك يصف نفسه مادحاً ومعتزا بشعره، ومكانته التي يراها لنفسه وهي أعلى قمة الجبل كما وصف نفسه في قوله" ابن الرعان".

ثم ينتقل ليعطي نفسه صفات الفارس المغوار وهي من شيم الرجال، فهو طويل النجاد أي طويل القامة، وهو ما كانت تمتدح به العرب سابقا[43]، وطويل العماد، فخيمته تستقبل الكثير من الزوار وهذا دليل على كرمه وحسن سيرته بين الناس. ولم يكتف ذلك، فقد أعطي نفسه صفة اللحاظ أيضا، وقد قصد بذلك أنه شديد الملاحظة وبصره حديد ويرى مقاتل عدوه، ومحافظ على ما يجب الحفاظ عليه في تلك الفترة كشاعر وفارس. والواضح في الأبيات أنه شديد الاعتداد بنفسه كفارس ومقاتل، يتغنى بسيفه الذي يسبق أجل الناس فيقتلهم قبل انقضاء آجالهم.

فالقصيدة برمتها عبارة عن مديح وتفاخر شديدين يحاول بهما الشاعر بث النرجسية وحب الذات اللذان يطغيان على شخصيته. فالأبيات تصور وبشكل جلي وواضح فاعلية الأنا وحضور الذات اللافت الذي تغنى به المتنبي في قصيدته، ونلاحظ أن طغيان الذات عبر عنه بضمير المتكلم (أنا) والذي تكرر في القصيدة ثماني مرات متعاقبة، هذا وبالإضافة إلى وجود ضمائر المتكلم الأخرى كالياء في (أنّي، مجدي، أراني، لساني...إلخ) والتاء في (كنت).

إن تركيز ضمير المتكلم في الخطاب يشي بوظيفة إفهامية للغة المستخدمة[44]، وظيفة اللغة في خطاب المتنبي الذي يعج بالأنا المتعالية واضحة؛ فتكرار الضمير أنا في الخطاب، يدعم حضور الذات بطريقة ملفته، وربما شاذة لكثرة ما يحمله الضمير من ضغط غير مقنع أحياناً، ولابد لنا من ربط حضور الأنا على سطح النص بحضورها في ذهن منشئه، وبالتالي تتكون هيمنة الأنا التي تتوزع بصورة مختلفة على تفاصيل الخطاب الشعري، فيصبح الخطاب موظفاً وبشكل أساسي لخدمة الأنا التي تفرض أسلوبها أسلوبا وفكراً على النص. إن الغاية التي كان يرمي إليها المتنبي

(39) محجوب: سامية، النرجسية في شعر المتنبي، جامعة البويرة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، ص55

(40) البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص440 قافية النون

(41) المرجع السابق، ص441 قافية النون

(42) المرجع السابق، ص441 قافية النون

(43)البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مرجع السابق، ص 441 قافية النون

(44) عامر: رمضان أحمد، توهج الأنا وانكسارها في شعر المتنبي، جامعة بني سويف، ص29

في قصيدته واضحاً جليا كما سبقت الإشارة، فاختياره لضمير الأنا وصوره المختلفة في نصه إنما أراد به ترسيخ مبدأ التعالي على الآخر، كما تُظهر لنا صفات النرجسية والتي بدورها ترينا جانباً مهما من جوانب شخصية المتنبي.

فتكراره لضمير الأنا وما تعلق به وتعبه من صفات أسبغها الشاعر على نفسه، وما كرره من تراكيب لغوية ما هي إلا محاولة لتأكيد الذات ووجودها، كما أراد إقرار متلقي الخطاب الشعري له وإخضاعه لا إرادياً بضرورة تعظيمه وإعطائه الصفات التي نسبها لنفسه، وهذا التعظيم كان مسلكه للإقناع بطريقة تكرار ضمير الأنا، وقد أطلق على هذه الاستراتيجية ب" استراتيجية العرض" كما أسمتها باربرا جونستون كوتش[45]، وتعني استحضار الشيء أمام الإنسان مرارا وتكرارا حتى يتعلق به شعوره، وهذا ما ينطبق فعليا على قصائد المتنبي التي يحاول فيها ترسيخ مكانته وتعظيم شانها من خلال تكرار الذات الداخلية عبر الضمائر التي يستخدمها وبالأخص ضمير الأنا التي تمثل الأشياء التي يود الفرد أن يكونها[46].

والمتفحص للنص سيدرك أن الأنا جاءت بقوة مشحونة بهاجس الثورة، الثورة على الآخر أو إن صح التعبير كما في واضح في الأبيات الثلاثة الأخيرة في قوله:

يُسابِقُ سَيْفي مَنَايَا العِبادِ *** إلَيْهِمْ كأنّهُمَا في رِهَانِ

يَرَى حَدُّهُ غامِضاتِ القُلُوبِ *** إذا كنتُ في هَبْوَةٍ لا أرَاني

سَأجْعَلُهُ حَكَماً في النّفُوسِ *** وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِساني كَفاني

فسيفه يبادر آجال الناس ليسبقها فيقتلهم قبل انقضاء آجالهم، ويكمل واصفاً فروسيته وقوته، ويقول مؤكدا: يرى حد سيفي قلوب الأعداء فيهتدي إليها حين يظلم الغبار في الحرب حتى لا يرى الفارس نفسه، وهنا تشبيه رائع، شبه فيه الشاعر سيفه بالإنسان ذو البصيرة النافذة، الذي يعرف ويرى أين موقع العدو من بين غبار المعركة، وهذا دليل على شدة ملاحظة المتنبي وانتباهه الشديد في المعارك، ونرى الاعتداد بنفسه يتضح وبقول في البيت الأخير حيث جميع بين فروسيته كمحارب وبين قوله للشعر واصفا بأنه سيقتل ما يشاء من الأعداء، ولسانه كسيفه في الحدة، ولو جعل لسانه مكان سيفه لاكتفى به[47]، وهذا تعالٍ واعتداد بالنفس يستحق التأمل.

ولعل من الضروري الاستعانة بالسياق الخارجي لحياة الشاعر الذي سيساعدنا على تحديد سبب هذا التعالي والأنا الطاغية في الكثير من نصوصه الشعرية. فلو التقتنا إلى حياة الشاعر في طفولته، سنجدها كما -أشرنا سابقاً-إلى أنها طفولة ممزوجة بالفقر والحرمان عاشها وعانى منها الشاعر في مراحله الأولى من حياته، الأمر الذي أدى إلى تولد نقمة في صدره ضد المجتمع والحياة، فانعكست على شخصيته التي طالما أراد إثباتها أمام الآخر حتى يسد ذلك النقص الذي طالما شعر به، ولن يشفى من آفة النقص إلا عندما يشعر بأنه امتلك ما لم يستطع أن يملكه والده أو هو نفسه عندما كان صغيراً.

فارتباط نشأته بالفقر الذي أثر في سعيه الدائم وراء جني المال وتحصيله بكل السبل، وما العظمة التي نراها في قصيدته سوى أثرٍ نفسي تركه الفقر والعدم والتهميش في شخصيته، والتي كانت سبباً في الانكسارات التي واجهتها شخصية كشخصية المتنبي، يقول فراج في ذلك:" ولم يفتخر المتنبي بنسبه حيث لم يكن رفيع النسب منتميا لأحد البيوت الكبيرة، وإنما كان من أسرة فقيرة، وكان أبوه يعمل سقاءً بالكوفة"[48]، فهذه التنشئة والشعور بالنقص

(45) العبد: محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005، ص234

(46) الجماعي: صلاح الدين أحمد، الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2010، ص 102

(47) البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص 441- 442

(48) فراج: سمير مصطفى، شعراء قتلهم شعرهم، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، 1997، ص87

والفقر، هذا وبالإضافة إلى النسب الذي كان ينتمي إليه المتنبي كانت من الموجهات الأساسية في نمو عقدة النقص التي ولدت عنده الأنا العظيمة، فشاعر في مثل هذه العبقرية والذكاء، لن يعترف بنسبه الذي طالما شُكك فيه أمام العرب التي كانت تفاخر بنسبها وقائلها ولا سيما الشعراء منهم.

فلا عجب أن يستبدل هذا الشاعر تلك المعاناة والحرمان بشيء يخفف عنه إحساس النقص والعجز، ولم يكن له إلا أن استخدم قلمه الذي يشيد به الجميع في أخذ وضعية الدفاع عن نفسه وعن كيانه وشخصه، فنرى تلك الأبيات تنضح بالكبرياء والتعالي، وكل بيت يتغنى بالمتنبي شاعرا وفارسا ومحارباً، وكما كان هناك تلميحات قوية لأصالته وعروبته كما أشرت آنفاً، يقول:

طَويلُ النِّجادِ طَويلُ العِمادِ *** طَويلُ القَناةِ طَويلُ السِّنانِ

مما كانت تتمتع به العرب سابقاً الكرم والجود، وهو هنا يفاخر بالزائرين الذين يتوافدون عليه، دليلاً على جوده وحسن ضيافته معهم. وهكذا يتضح لنا أن القصيدة جاءت انعكاساً وتعبيراً عن فترة قاسية عاشها المتنبي في صغرة، وجاء كلماته في محاولة لتضليل السامعين والقارئين لشعره عن حقيقته التي طالما أراد أن يبعدها عن الجميع، حتى أنه في مواقف عدة -وقد سبق وأشرت-في موقف له مع علي بن حسن عندما سأله عن أبيه، أجابه مضللاً إياه مادحاً نفسه بأن انتماءه إنما يرجع لنفسه، وفخره نابع من فخر قبيلته به، وليس فخره بقبيلته. " فالذات المتعاظمة من داخلها لا يمكن أن يبقى فيها مكان للآخر"[49]، فأبرز ملمح قد نلمحه في تلك الأبيات هي غياب الآخر والتركيز فقط على حضور الأنا وهو طرح صادم ومتمادٍ من المتنبي والتي سار عليها في الكثير من قصائده بل نستطيع القول أغلبها، وفي قصيدة أخرى له يقول:

أَنا السابِقُ الهادي إِلى ما أَقولُهُ *** إِذِ القَولُ قَبلَ القائِلينَ مَقولُ
وَما لِكَلامِ الناسِ فيما يُريبُني *** أُصولٌ وَلا لِلقائِليهِ أُصولُ
أُعادي عَلى ما يوجِبُ الحُبَّ لِلفَتى *** وَأَهدَأُ وَالأَفكارُ فِيَّ تَجولُ
سِوى وَجَعِ الحُسّادِ داوٍ فَإِنَّهُ *** إِذا حَلَّ في قَلبٍ فَلَيسَ يَحولُ
وَلا تَطمَعَن مِن حاسِدٍ في مَوَدَّةٍ *** وَإِن كُنتَ تُبديها لَهُ وَتُنيلُ
وَإِنّا لَنَلقى الحادِثاتِ بِأَنفُسٍ *** كَثيرُ الرَزايا عِندَهُنَّ قَليلُ
يَهونُ عَلَينا أَن تُصابَ جُسومُنا *** وَتَسلَمَ أَعراضٌ لَنا وَعُقولُ[50]

كذلك تبدأ هذه الأبيات بلفظة (أنا) التي أراد بها الشاعر أن يؤكد على قيمتين بغية التفاخر بهما كما هو واضح. القيمة الأولى: هي بيان مقدرته على ابتكار المعاني والسبق إليها[51]، كما في قوله: (أنا السابق.)، وفي إثارته لهذه القيمة كان هدفه الدفاع عنه نفسه بعد الهجمات المتكررة التي تعرض لها للحط من قدرته الشعرية في إتيان المعاني، واتهامه بالسرقات الشعرية[52]. أما القيمة الثانية نستخلصها من قوله: (الهادي) التي ربما تثير الكثير من التساؤلات في ذهن المتلقي في المعنى الذي يرمي إليه الشاعر من إيراد هذه اللفظة، فهل قصد الهادي والتي تذكرنا

(49) الغذامي: عبد الله، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 2001، ص127

(50) البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص126 قافية اللام

(51) الحويطات، الأنا والآخر في شعر المتنبي، مرجع سابق، ص156

(52)انظر عباس: إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، 1993، ص244حتى328

بمحاولة المتنبي ادعاء النبوة في فترة من فترات حياته؟ أم جاءت فقط لتأكيد دوره الوظيفي الفاعل في قول الشعر، بعد أن حاول الكثيرون تغييب دوره الذي كان يتمتع به في زمان معين[53].

وما يهمنا هنا هو حضور الأنا ودورها في إبراز العوالم النفسية التي أراد الشاعر أن يستبدلها بالفخر والاعتزاز وبالدفاع أحيانا عن نفسه، لكن حتى هذه الأخيرة لم تخلو من عزة وكبرياء، فجاءت كسابقيها مفعمة بالأنا والعنجهية التي اشتهر بها. إن الأبيات التي بين أيدينا الآن هي أبيات مميزة لشاعرنا العظيم، فهي تخدم دراسة الأنا في شعره وتكشف لنا بشكل واضح العالم الداخلي واضطراباته عند المتنبي ولو حاول أن يبين للمتلقي عكس ما يضمره.

ومع حرص المتبني على إبراز قوة الأنا والذات وإثباتها بالرغم ما يمر به من محاولات تشكيك وغيرها، إلا أنها تكشف عن صراح داخلي كبير حاول جاهدا كتمه وتهميشه من خلال بعض الإشارات التي نلمحها في الأبيات، مثل قوله: (أهدأ والأفكار فيّ تجول)، وهنا نملح أن التضاد طاغ على هذه العبارة، فهي من جهة تعبر عن هدوئه الخارجي غير العابئ بما يثار من حوله، ومن جهة أخرى تعبر عن النقيض الذي يشغل تفكيره وعالمه النفسي، وهي الأفكار المتصارعة التي تسطير عليه جرّاء ما يجري. وهذه الصورة التي حاول المتنبي أن يعبر فيها عن تماسكه وهدوء أناه التي لا تكترث إلا بنفسها، أظهر لنا التباين ما بين الخارج والداخل، وكشف عن المعاناة وحجمها.

والإشارة الثانية في قوله:(سوى وجع الحساد داوٍ)، وهنا نستطيع أن نلحظ كذلك عن تمكن هذا الوجع من أنات الشاعر، والتي اعترف بها من خلال هذا البوح الذي عبر عنه في قصيدته، فقد تمكن منه الحسد الذي أحاط به وأعياه علاجه ومقاومته.

وبالرغم من الأنا التي سعى المتنبي لإبرازها كي لا يتمكن أحد منه، إلا أن الضعف النفسي والمعنوي الذي ظهر على سطح قصيدته وكشف لنا عوالم داخلية تأثرت بمحيطها، وهو هنا يحاول صنع جدار بينه وبين من يقترب منه معادياً أو ساخراً أو مهمشاً مستخدماً الأنا المتعالية الطموحة لبناء هذا الحصن المنيع، الذي يذود عنه ويصنع له مجداً لا يسأل فيه أحد ولا يستنجد بغيره، فهو من صنع لنفسه هذا الصيت وهذا المجد، وهذه المكانة، وكانت الأنا التي طغت على معظم أدبه ما هي إلا لتغييب ما يشعره به ويكابده، فهو الذي قال:

أَنَا الذَّي نظرَ الأَعْمى إِلى أَدَبي *** وأَسْمَعَتْ كلماتي مَنْ بهِ صَمَمٌ

فكان أدبه هو المتكأ والسبب الأساسي لجنون العظمة التي كان يتغنى بها. ثم إن الأنا التي أراد بها التخفي وكسب القوة في الأبيات السابقة، كانت محاولة لتخطي قيمة المبدأ التي تدفع الأنا إلى تجاوز العابر الظرفي إلى ما هو أكثر بقاء وديمومة[54]. لذا فإن ما وظفه الشاعر من تحول في حركة الضمائر من الفرد إلى الجمع كما في (إنا، يهون علينا أن تصاب جسومنا) كان له الأثر البالغ في تأكيد محاولة تخطي تلك القيمة، وهو تحول يرغب به الشاعر في تعزيز موقف الأنا الفردي بقوة ونصرتها.

ثم إن الوضوح الذي كشف لنا ما يعانيه الشاعر رغم محاولة تكريس وجود الأنا، إلا أن البيتين الأخيرين كشفا لنا لهجته الوثوقية الصارمة للظهور أمام الآخر على قدر من الصلابة والثبات والتحدي في خضم حركة صراعها المتنامي معه، والتي استمرت معه حتى فارق الحياة.

إن سعينا وراء دراسة هذه القصائد هو بيان الأنا على وجهين مختلفين، الوجه الأول كان في القصيدة الأولى والتي كتبها في فترة الصبا وسارت على منوالها قصائد كثيرة من قصائد المتنبي ولا تخفى عن القارئ لشهرتها، وقد كانت الأنا واضحة فيها بطريقة مستفزة لصبي في بداية حياته كرّس قلمه ومقدرته الشعرية في وصف نفسه بتكبر

(53) الحويطات، الأنا والآخر في شعر المتنبي، مرجع سابق، ص 156

(54) الحويطات، الأنا والآخر في شعر المتنبي، مرجع سابق، ص 157

وعلوٍ على الآخرين. أما الوجه الآخر، والذي أردنا منه أيضا رصد حضور الأنا، قد اتضحت في وضعية الدفاع التي اتخذها المتنبي ضد من يشكك في شعره ومقدرته الأدبية بقوله:

أَنا السابِقُ الهادي إِلى ما أَقولُهُ *** إِذِ القَولُ قَبلَ القائِلينَ مَقولُ

وَما لِكَلامِ الناسِ فيما يُريبُني *** أُصولٌ وَلا لقائِليهِ أُصولُ

وكشفت لنا وبوضوح ما يتخلل هذه الأنا من أفكار تجعلها منشغلة داخلياً، ومتألمة من الحسد المحيط بها والذي عجز أن يجد له دواء يداويها؛ لتخلص الدراسة إلى أن الأنا ما هي إلا واجهة أو سلاح يتخذه الشاعر للدفاع عن نفسه من عوالمه الداخلية التي أثرت في شخصيته، فنجد أن تضخم الأنا في شخصية المتنبي تبدو ظاهرة بديهة، وأن ذورة الإحساس بالتفوق والعظمة أخرجت لنا شخصية صدامية مع الآخر.

مناقشة النتائج:

وبعد، فقد بحثت هذه الدراسة المختصرة عن الأنا الطاغية في شعر المتنبي، لكننا وللإيجاز وضيق الوقت توقفنا عند نماذج مختارة من قصائد المتنبي، لبيان أناة المتنبي. وخلصت الدراسة إلى أن الوراثة النفسية والعاطفية هي الموجه الأساس في رسم شخصية شاعر السيف والقلم المتنبي، وهي المؤثر الأول في طغيان الأنا والتعالي لا في قصائده فحسب، بل في تعامله مع الآخر كما اتضح في قصائد عدة له فغدا هذا طموحه المادي اللامحدود ونرجسيته العالية سببا في طلبه للمعالي، فكيف لشاعر آخر لم يحظ قلمه بما حظي به قلم المتنبي أن يدخل إلى بلاط الأمراء والخلفاء لمدحهم لولا أن الأنا قد ساعدته في ذلك حتى غدت هذه الأنا سبب نفور بعض الأمراء منه ومن سموه بنفسه.

وهذه الدراسة لا تنفي قدرة الشاعر على قول الشعر، فقدرته الشعرية لا تخفى على أحد، الأمر الذي ميزه وبجداره من بين شعراء عصره وحتى يومنا هذا، لكننا بهذه الدراسة أردنا دراسة جانب من جوانب شخصيته الفذة التي شغلت الدنيا، أخيرا، ليس هذا البحث هو نهاية المطاف مع قصائد المتنبي إنما هو بداية لاكتشاف شخصية فذة وطموحة من نواح عدة غير النواحي النفسية والاجتماعية.

الاستنتاجات والمقترحات.

بناءً على ما تضمنته الدراسة يمكن استنتاج ثم اقتراح الآتي:

1. كان للأنا حضور لافت في قصائد المتنبي، وللمؤثرات الاجتماعية والنفسية دور كبير في ذلك.
2. حضور الأنا ساهم بشكل لا نستطيع تجاهله في إنتاج قصائد للمتنبي فريدة من نوعها لم تتكرر عند غيره من الشعراء.
3. لم تكن طفولة الشاعر وحياته الاجتماعية هي المسبب الوحيد في ظهور الأنا بهذه الطريقة، فهناك أيضا قدرته الشعرية التي فاقت غيره، بالإضافة إلى مكانته عند الأمراء والخلفاء.
4. يجب أن تكون هناك دراسات أكثر تتناول شعر المتنبي بمعزل عن شخصيته ومجتمعه حتى نستطيع المقارنة بينها وبين ما توصلت إلى الدراسات النفسية والاجتماعية التي ركزت على المؤثرات التي أسهمت في توجيه هذه الشخصية وخلق عقدها.

قائمة المراجع.

1. إبراهيم: نوال مصطفى، المتوقع واللامتوقع في شعر المتنبي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، 2008.

2. البرقوقي: عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، الجزء الأول، الطبعة الأولى 2004.
3. بلاشير: ريجس، أبو الطيب المتنبي-دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
4. الجماعي: صلاح الدين أحمد، الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2010.
5. حاوي: إيليا، المتنبي سيرته ونفسيته وفنه، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى 1990.
6. حجوب: سامية، النرجسية في شعر المتنبي، جامعة البويرة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير.
7. حرب: سعاد، الأنا والآخر والجماعة (دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه)، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1994، الطبعة الأولى.
8. الحسن: نهى، وأمين: بكري، المتنبي دراسة نفسية وأسلوبية، دار العلم للملايين، بيترو-لبنان، الطبعة الثانية 2003.
9. الحويطات: مفلح، الأنا والآخر في شعر المتنبي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، مج33، ع131، 2015.
10. زيدان: محمد مصطفى، معجم المصطلحات النفسية والتربوية، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1984، الطبعة الثانية.
11. سعد: صالح، مقدمة الأنا-الآخر-عالم المعرفة 274، مطابع السياسة، الكويت، 2001.
12. شبلول: أحمد فضل، شخصية المتبني في آثار علي الجارم النثرية، تاريخ النشر: 30-10-2019--https://middle-east-online.com
13. صليبا: جميل، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
14. عامر: رمضان أحمد، توهج الأنا وانكسارها في شعر المتنبي، جامعة بني سويف.
15. عباس: إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى.
16. العبد: محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005.
17. عزت: أحمد، أصول علم النفس، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، الطبعة السادسة، 1968.
18. عطوي: فوزي: المتنبي شاعر السيف والقلم، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1998.
19. الغذامي: عبد الله، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 2001.
20. فراج: سمير مصطفى، سعراء قتلهم شعرهم، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، 1997.